رسائل تهم المرأة المسلمة

رسائل تهم المرأة المسلمة

الرسالة الأولى : تكريم الإسلام للمرأة

الرسالة الثانية : موعظة النساء

الرسالة الثالثة : صفات الزوجة الصالحة

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجموع:

الحمد لله، وكفىٰ، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ، وعلىٰ الآل والصحب ومن اقتفىٰ.

أما بعد: فهذه ثلاث رسائل تخص المرأة المسلمة، وتهمها في أمر دينها، وسبيل سعادتها في دنياها وأخراها، سبق أن طُبعت كل واحدة منها مُفردة غير مرّة، وقد رغب بعض الأفاضل في طبعها في هذا المجموع؛ لكونها في باب واحد، ويُكمّل بعضها بعضا.

وأسأل الله أن يعظم النفع بها والبركة، إنه سميع مجيب.

وكتبه: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

في: ٢٢/ ١/ ١٤٣٧

رسائل تهم المرأة المسلمة

الرسالة الأولى :

تكريم الإسلام للمرأة

تأليف
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدِّين، وأتمَّ علينا النِّعمة، وجعل أمَّتنا - أمَّةَ الإسلام - خيرَ أمَّة، وَبعث فينا رسولا منّا، يتلو علينا آياته، وَيزكّينا، وَيعلّمنا الكتاب والحكمة، وَالصلاة والسلام عَلىٰ مَن بُعث رحمةً للعالمين، وَقدوةً للعاملين، وَمحجّةً للسالكين وَعلىٰ آله وَأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فَإنّ نعمة الله علىٰ عَبده المُسلم عظيمةٌ، وَمنّته عَليه كبيرةٌ بهدايته إلىٰ هَذا الدِّين العظيم، دِينِ الإسلام، دِين الله الذي ارتضاه لعبَاده، وَكمَّله لهم، وَلا يقبل منهم دينًا سواه، يَقول الله تَعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

إنّه الدِّين الذي أصلح الله به العَقائد وَالأخلاق، وَأصلح به

الحياة الدنيا والآخرة، وزيَّن به ظاهر المرء وباطنه، وخلّص به كلّ مَن اعتنقه وتمسّك به من براثن الباطل، ومهاوي الرَّذيلة، ومنزلقات الانحراف والضلال. إنّه الدّين القويم المحكم غاية الإحكام في أهدافه ومقاصده، و في هداياته ودلالاته، وفي نهاياته وثمراته. أخباره كلّها حقّ وصدق، وأحكامه كلّها عدل وإحسان، فما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهىٰ عنه، ولا نهىٰ عن شيءٍ فقال العقل: ليته أمر به، ولا أحل شيئا فقال العقل: ليته حرّمه، ولا حرم شيئا فقال العقل: ليته أباحه. ولم يأت قطّ علمٌ صحيحٌ ينقض شيئا من أخباره العظيمة، ولا حكمٌ سليمٌ يبطل شيئا من أحكامه القويمة.

إنه الدّين العظيمُ الذي يهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم، الصدق شعاره، والعدل مدارُه، والحقّ قوامُه، والرَّحمة روحه وغايته، والخيرُ قرينُه، والصلاحُ والإصلاحُ جماله وأعماله، والهدىٰ والرّشدُ زادُه، من تركه وترك الاهتداءَ به رحلت عنه العقيدة القويمة، والأعمال الجليلة، والأخلاق العالية النّبيلة، وحلّت محلّها أوهامُ العقول، وتفاهات الآراء، وسيِّء الأعمال، ورذيل الأخلاق.

ولهذا فإنّ أعظم كرامة ينالها العبدُ الهداية لهذا الدِّين العظيم، والتوفيق للاعتصام به والتّمسّك بهداياته، والالتزام بدلالاته

وإرشاداته، والبعد التام والحذر الكامل عن كلّ ما ينهىٰ عنه ويحذر منه.

ومن كمال هذا الدين العظيم وجماله تكريمه للمرأة المسلمة، وصيانته لها، وعنايته بحقوقها، ومنعه من ظلمها والاعتداء عليها، أو استغلال ضعفها، أو نحو ذلك، وجعل لها في نفسها ولمن تعيش معهم من الضوابط العظيمة، والتوجيهات الحكيمة، والإرشادات القويمة ما يحقق لها حياة هنيَّة، ومعيشة سويّة، وأنسًا وسعادة في الدنيا والآخرة.

أصـول مهمّة

ولا بدّ للمسلم في هذا المقام العظيم أن يكون مدركا لجملةٍ من الأصول المهمّة، والضوابط العظيمة، ليتحقق له بالعلم بها ومُلاحظتها والسير علىٰ وفقها، الإكرامُ الحقيقي، والإنعام التام الكامل، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

أوّلا: أن يعلم العبدُ علم اليقين أنّ أحسن الأحكام وأقومها وأكملها وأجملها أحكامُ ربِّ العالمين وخالق الخلق أجمعين، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. وقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

ثانيًا: أن يدرك العبدُ أنّ سعادته وكرامته مرتبطةٌ تمام الارتباط بطاعته لربِّه، والتزامه بأحكامه، وأنّ حظّه ونصيبه من ذلك بحسب حظِّه ونصيبه من الطاعة والالتزام، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وقال تعالىٰ عن صاحب يس: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ

﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٥-٢٧]. وقال تعالىٰ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩-١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ثالثا: أن يتنبّه العبدُ المسلم، والأمَة المسلمة أنّ لهما في هذه الحياة الدنيا أعداءَ كثر، يسعون للإطاحة بكرامتهما، وخلخلة سبيل عزّهما وسعادتهما، وَيقدِّمون كلّ ما يستطيعون في سبيل النّيل منهما وإهانتهما.

ويأتي في مقدمة هؤلاء: الشيطان عدوّ الله، وعدوّ الإسلام، وعدوّ عباده المؤمنين، الذي غاظه أشدّ الغيظ إكرامُ الله للمؤمنين بهذا الدِّين، وهدايته لهم صراطه المستقيم، فأعلن عليهم حربًا شعواء، وقعد لهم بكلّ صراطٍ، وأتىٰ إليهم من كلّ جانبٍ يريد إهدارَ كرامتهم وتضييع عزِّهم وشرفِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا

﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦١-٦٤]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦]. فوجب علىٰ كلّ مسلم ومسلمة أن يحذر منه، ومن كلّ عدوٍّ يهدف إلىٰ إبعادهما عن هذا الإكرام.

رابعًا: أن يؤمن أنّ توفيقَه، وصلاحَ أمره، واستقامة حاله، وتحقق كرامته؛ بيد سيِّده ومولاه: رب العزة سبحانه، القائل: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]. ولهذا فإنّ عليه أن يقوي صلتَه به سبحانه، ويطلب كرامته منه، وقد كان من دعاء النبيِّ ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كلّ خير، والموت راحةً لي من كل شرٍّ»[1]. وفي هذا دلالة علىٰ أنّه لا غنىٰ لأحدٍ عن ربِّه؛ في صلاح أموره، واستقامة شؤونه، وتحقق كرامته وإكرامه.

خامسًا: أن يجعل أكبر همِّه في هذه الحياة الدنيا أن يكون كريمًا عند الله، حتىٰ يحظىٰ بإكرام الله له، وأن يسعد بما أعدّه اللهُ سبحانه لعباده المكرمين، الذين قال فيهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ٣٥]. فتلك هي الكرامة الحقيقيّة، ونيل ذلك إنّما يكون بتحقيق

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٠).

تقواه سبحانه في السرِّ والعلن، والغيب والشهادة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قيل للنبيِّ ﷺ: من أكرمُ الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم»(١).

ومن ابتغىٰ الكرامةَ من غير هذا السبيل؛ فإنّما يركض في سراب، ويسعىٰ في سبيل خيبةٍ وتباب.

سادسًا: أنّ المرأة علىٰ وجه الخصوص يلزمها أن تعلم أنّ أحكام الشرع المتعلّقة بشأنها؛ محكمةٌ غايةَ الإحكام، متقنةٌ غايةَ الإتقان، لا نقص فيها ولا خلل، ولا ظلمَ فيها ولا زلل، كيف لا وهي أحكامُ خير الحاكمين، وتنزيل ربِّ العالمين، الحكيمُ في تدبيره، البصير بعباده، العليمُ بما فيه سعادتهم وَفلاحُهم، وصلاحُهم في الدنيا والآخرة، ولهذا فإنّ من أعظم العدوان وأشدّ الإثم والهوان، أن يقال في شيءٍ من أحكام الله المتعلّقة بالمرأة أو غيرها، إنّ فيها ظلمًا، أو هضمًا، أو إجحافًا، أو زللا، ومن قال ذلك أو شيئا منه؛ فما قدر ربَّه حقّ قدره، ولا وقّره حقَّ توقيره، واللهُ جلّ وعلا يقول: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي: لا تعاملونه معاملة من توقّرونه، والتوقيرُ: التعظيم، ومن توقيره سبحانه: أن تُلتزم أحكامُه، وتطاع أوامرُه، ويُعتقد أنّ فيها السلامةَ والكمال والرِّفعة، ومن اعتقد فيها خلاف ذلك؛ فما أبعده عن

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٤).

الوقار، وما أجدره في الدنيا والآخرة بالخزي والعار.

فهذه أصول مهمّةٌ، وضوابط عظيمة، يجدر التنبه لها والعناية بها بين يدي هذا الموضوع، بل هي في الحقيقة ركائزه التي عليها يُبنىٰ، وأسُسُه التي عليها يقوم.

من هي المرأة؟

المرأة في اللغة: تأنيث المرء، ويقال: امرأة، ومَرَة، ولا جمع لمفردها، وإنّما تجمع علىٰ نساء ونسوة، وهي ذلك المخلوق الذي أوجده الله عزّ وجلّ ليكون شريكا للرجل في حياته، وقد خلقت في الأصل من الرجل نفسه، ليكون ذلك أعمق في التجانس وأوثق في الصلة والتقارب، ولتتحقق بينهما المودّة والرحمة في أبهىٰ حلّة وأجمل صورة.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

وقد دلّت الآيات علىٰ أنّ حوّاء زوج آدم عليه السلام قد خلقت منه. ثمَّ بثّ سبحانه منهما رجالا كثيرا ونساءً، وذلك عن طريق التزاوج، الذي يكون به الحمل والإنجاب.

وجعل في الرجل مقوِّماته وخصائصه، وجعل في المرأة مقوَّماتها وخصائصها، وخروج كلّ منهما عن مقوِّماته وخصائصه يُعدّ ميلا عن الفطرة، وانحرافًا عن السبيل. وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إنّ المرأة خلقت من ضلع، وإنّ أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوج»(١).

قال النووي رحمه الله: «وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم، أنّ حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].»(٢). وهذا يفيد أنّ المرأة في أساس بنيتها، وأصل خلقتها قد مُيِّزت ببعض الخصائص والمقوِّمات التي تجعل لها وضعًا خاصاً، وأسلوبًا معيَّنًا في الحياة، ينطلق من أنوثتها وأمومتها ورقَّتها وضعفها، وكثرة تقلّب أحوالها، فهي تحيض، وتحمل، وتتوحّم، وتلد، وترضع، وتباشر حضانة مولودها، إلىٰ غير ذلك مما هي مختصّة به، كما أنّ الرجل له خصائصه ومقوِّماته.

وليس لأحد الطرفين أن يتطلّع إلىٰ خصائص الطرف الآخر، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).
(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٥٧).

مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

وقوامة الرجل علىٰ المرأة هو مما فضّل الله به بعضهم علىٰ بعض، ومن ذلك ما خصَّ به الرجل من كمال العقل والرزانة والصبر والجلد والتحمّل والقوّة مما ليس للمرأة مثله، ولهذا جعل للرجل علىٰ المرأة حقوقًا تتناسب مع قدراتها وأساس تكوينها، وجعل للمرأة علىٰ الرجل حقوقًا تتناسب مع قدراته وأساس تكوينه.